استخدام اللهجات في العمل الدارمي التلفزيوني

إشراف: أ.د. جوهر الجموسي

الطالب: علي حسن كاظم عويز السعيدي

جامعة قرطاج / المدرسة العليا للسمعي البصري والسينما بقمرت

dr.ali197936@gmail.com

الملخص:

شهدت الأعمال التلفزيونية منذ بدايتها ونشوئها مع بدايات انتشار التلفاز كجهاز منزلي في بيوتات المواطنين استخدام اللهجات المحلية محل اللغة العربية الفصيحة، وباتت كل دولة من دول الوطن العربي تضخ انتاجها بلهجتها المحلية، إلا أن الأعمال التاريخية كانت تنحو منحاً مغايراً من خلال استخدام اللغة العربية الفصحى في سيناريوهاتها، إلا أن المتتبع اليوم لبرامج التلفزيون ولاسيما الأعمال الدرامية باتت كلها تنتهج المنهج العامي في إدارة الحوار بين شخوص العمل الدرامي، حتى باتت اللغة العربية الفصحى غريبة في مواطنها، وباتت لا تستخدم إلا في البرامج الإخبارية والحوارات المتلفزة مما افقدها جانب مهم من مصادر انتشارها لدى الجمهور.

يعرض البحث الأسباب والنتائج التي تتعلق بانحسار استخدام اللغة العربية الفصحى في الأعمال الدرامية كما قدم الحلول كما يرتئيها الباحث وفق ما توصل إليه من خلال الدراسات التي عرضت لهذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: (اللهجات، العمل الدارمي التلفزيوني).

The use of dialects in television drama

Supervision: Prof. Dr. Jawhar Al-Jamousi

Student: Ali Hassan Kazem Awaiz Al-Saeedi

University of Carthage / Higher School of Audiovisual and Cinema of Gammarth

Abstract:

Since its inception and emergence with the beginnings of the spread of television as a home device in the homes of citizens, television works have witnessed the use of local dialects in place of the classical Arabic language, and each country in the Arab world began to pump its production in its local dialect, but historical works were taking a different approach through the use of the classical Arabic language

in However, today's observer of television programs, especially dramatic works, have all adopted the colloquial approach in managing the dialogue between the characters of the dramatic work, to the point that the classical Arabic language has become strange in its countries, and is now only used in news programs and televised dialogues, which has lost an important aspect of the sources of its spread among the people. The audience.

The research presented the reasons and results related to the decline in the use of the classical Arabic language in academic works, and also presented solutions as envisioned by the researcher, according to what he reached through the studies presented on this topic.

Keywords: (dialects, television drama).

المقدمة:

برزت مع بدايات القرن المنصرم العديد من التحديات التي واجهت اللغة العربية ووجودها، وتهديد مكانتها لدى الناطقين بها، فضلاً عن العمل على إضعاف قدرتها على مواجهة تلك التحديات من خلال بث ما يقلل من قابلية هذه اللغة العظيمة على استيعاب متطلبات العصر ووصفها بالجمود، والعمل على حصر استخداماتها في المسائل الدينية والفقهية وإبعادها عن ساحة الاستعمال في المجالات الحياتية.

ولجت اللهجات المحلية الى ساحة الدرامية في الأعمال والمسلسلات التلفزيونية منذ بدايات تأسيس الإذاعات والتلفزيونات في المنطقة العربية، وانحصر استخدامها في المسلسلات الدرامية دون غيرها من المجالات الأخرى، إذ بقي استعمال اللغة الفصيحة في برامج التلفزيون الأخرى لاسيما النشرات الإخبارية واللقاءات التلفزيونية، وقد احتلت اللهجات المحلية لكل دولة وقطر عربي الساحة الدرامية المحلية ثم اخذت تنتشر في الساحة العربية، بعد ان اعتادها المواطنون العرب ومن الجدير بالذكر أن المواطن العرب بات يحسن استخدام اللهجات المحلية لكل المناطق العربية ولكننا نجده لا يجيد اللغة العربية الفصحى بصورة صحيحة.

في بحثنا هذا سنسلط الضوء على أسباب ودوافع استخدام اللهجات المحلية في الاعمال التلفزيونية ذات الطابع الدرامي، والعمل على تحليليها وبيان مدى جدواها، وهل لهذه الاعمال دور في تراجع استعمال اللغة العربية الفصحى والعمل على وضع الحلول الناجعة لمواجهة تأثيرات اللهجة العامية.

المبحث الأول: مفهوم اللغة واللهجة واصطلاحاً

عرفت اللهجة في معاجم اللغة العربية على أنها " طَرَفْ اللّسان، ويُقالُ: جَرْس الكلام، ويُقال: فصيح اللَّهْجَة واللَّهَجة. وهي لغته التي جُبِلَ عليها فأعتادها، ونشأ عليها"[١]، وعلى أنها "جَرْسُ الكلامِ"[٢]، كذلك فقد أوردت معاجم اللغة معنى آخر لكلمة اللهجة فيذكر ابن منظور (ت٧١١هـ) بأن اللهجة هي من "لهج: لَهِجَ بالأَمرِ لَهَجاً، ولَهْوَجَ، وأَلْهَجَ كِلَاهُمَا: أُولِعَ بِهِ واعْتادَه" وبذلك نخرج الى اربع معانٍ لكلمة اللهجة، الأول وهو طرف اللسان أو اللسان، والثاني فصيح اللهجة والمعنى الثالث جرس الكلام، والمعنى الرابع الاعتياد، أما في الاصطلاح فقد أوردت كلة اللهجة على أنها "اللَّهجة: اللسان أو طرفه، ولغةُ الإنسان التي جُبل عليها واعتادها"[٣]، عليه فإن اللهجة هي اللغة المستخدمة والمتداولة في حياتنا اليومية، والتي اعتدنا على استخدامها، والنطق بها لإيصال أفكارنا الى الأخرين.

شاع على اللهجات المحلية تسمية اللهجة العامية، والمراد منها هي اللغة التي تشيع على السنة العامة في اطار تعاملهم اليومي في كل قطر، من الأقطار العربية، وهي خليط من الفصحى ولغات أخرى تأثرت بها من خلال الاحتكاك الحضاري على المدى الطويل[٤]، كما عرفت على أنها لغة كلماتها عربية تكون طائفة من ألفاظها فصيحة وأخرى غير فصيحة ولا وجود لها في المعجم، ولا تتقيد بقواعد النحو أو الصرف[٥].

تحتل مسألة اللغة منذ القدم حيزاً واسعاً لدى المفكرين وعلماء اللغة، لكونها منبع التفكير والتخيل، وهي الوسيلة التي نوصل بها أفكارنا الى الأخرى، "إذ لا يعقل أن يفكر المرء خارج إطار اللغة، فهو لا يفكر إذن، إلا داخلها، أو بواسطتها فهي التي تتيح له أن يعبر عن أفكاره فيبلغ ما في نفسه ويعبر عن عواطفه فيكشف عما في قلبه"[٦]، وقد أنعم الله على الإنسان بنعمة اللغة وفضله على سائر مخلوقاته بها ليتمكن من إدراك ما حوله وإيصال أفكاره لغيره من بني جنسه فيقول عز وجل

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، وقوله جل وعلا ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣-٤]، فكانت هذه النعمة التي أسبغت على بني البشر هي السبب لتطور الإنسان الى ما هو عليه اليوم.

تشعبت اللغة الى لهجات ولكنات، وكانت سابقاً تقتصر على القبائل المتباعدة عن بعضها البعض وتفصل عنهم مسافات شاسعة، ولكن اليوم اصبح الاختلاف تبعاً للطبقة التي تستخدم اللغة، وتبعاً لمستواهم الثقافي وتحصيلهم الدراسي، ومستواهم الاجتماعي، وحتى المستوى الاقتصادي، فلغة الاكاديميين من الأستاذة وطلبة الجامعات تختلف عن لغة العامل البسيط ذو التحصيل الدراسي المتواضع، كذلك تختلف تبعاً لمناطق السكن فعلى سبيل المثال تختلف لغة الريف عن لغة المدينة التي تلتقي بها مختلف ثقافات البلد على عكس الريف، كذلك تختلف اللهجات المحلية من منطقة جغرافية الى أخرى، فنجد على سبيل المثال أن اللهجة العراقية تختلف عن اللهجة المصرية وتقترب في مفرداتها من اللهجة الخليجية، وكذلك اللهجة الشامية نجدها تختلف عن اللهجة العراقية وهكذا، فلكل بقعة جغرافية لها اللهجة الخاصة والمستقلة لها، وإذا أمعنا النظر في المنطقة الجغرافية نجد هناك تباين بين لهجات البلد الواحد لاسيما اذا كان ذو سعة جغرافية فلهجة الإسكندرية على سبيل المثال تختلف عن لهجة الصعيد وهكذا.

مسألة اللغة العربية وديمومة استعمالها وتداولها بين الأفراد ومدى قدرتهم على التوسع في مجالها وابقائها وسيلة تواصل بين العرب كافة هي مسألة جوهرية لا يمكن التفريط بها أو إهمالها، إذ إنها تعد مسألة وجود لهذه الأمة، لذلك كان لزاماً على وسائل الإعلام المتنوعة أن تقوم بوظيفة مكملة لوظيفة المدرسة والاسرة في نشر اللغة الفصحى والارتقاء بها، وجعلها ميسرة وسهلة وذلك لسد الباب أمام من يدعي أن اللغة الفصحى هي لغة منبرية، وبأنها لغة مصطنعة يتعلمها العرب كلغة اجنبية، فلا يخفى ما لوسائل الإعلام من القدرة والاستطاعة على النهوض بالواقع اللغوي وتنمية القدرات اللغوية لدى المتلقي من خلال حجب مصادر التلوث اللغوي عن المشاهد والمستمع من جهة، ومن الجهة الأخرى عبر توظيف اللغة الفصحى وأدائها فضلاً عن عرض العديد من البرامج التي تتناول علوم اللغة وآدابها[٧].

يولد هذا الأسلوب القدرة لدى المشاهد والمتلقي العربي على محاكاة ما يحدث أمامه، فيبدأ في استخدام اللغة السليمة في حاجاته وأفكاره، وبذلك يشكل الإعلام بكل إمكانياته موقع داعم للعملية التعليمية والتربوية، ولا يتحول الى وسيلة للاستلاب الثقافي، وأداة لنشر التلوث اللغوي بين فئات المجتمع ولاسيما فئة الأطفال الذين ينشؤون على مثل هذا التلوث الذي يعيق نمو ملكتهم اللغوية وتطورها.

المبحث الثاني: مفاهيم الدراما

كلمة الدرامة (Drama) هي كلمة يونانية الأصل، وهي مشتقة من الفعل اليوناني القديم (Spaua) بمعنى أعمل، فهي تعني إذن أي عمل أو حدث سواء في الحياة أو على خشبة المسرح، ولكن استعمالها عنواناً لنوع من الفن، جعل من الصعوبة بمكان وضع تعريف محدد لها، أو تفسيرها في بعض الكلمات أو الجمل، فجوهر العمل الفني (الفعل) الذي يشكل موقفاً فنياً وهذا هو المعنى الحقيقي لكلمة دراما.

كما تعرف على أنها خيال عرضي يقدم أنواعاً مختلفة من القوالب التي تبث عبر القنوات التلفزيونية العامة أو عبر المنصات الإلكترونية[٨].

يعد الحوار عمود العمل الفني وهو الوسيلة التي من خلالها تصل فكرة العمل الى المتلقي، فإننا نجد أن الصورة تتقدم على الكلمة وتكون الاسبقية الدائمة للصورة، فمن أهم أغراض الحوار في العمل الدرامي توصيل حقائق الحدث التي لا يمكن تصويرها، وعلى كاتب السيناريو أن يضع نصب عينيه دوماً مقولة "يجب على السطر أن يتقدم بالقصة، أو يطور الشخصية، أو يثير الضحك"[٩]، والحوار في العمل الفني الدرامي يستخدم لإرساء حقائق عن الماضي، ويستفاد منه في وصف المكان، ويخبرنا بتحركات الشخصية الغائبة عن المشهد، وفي نفس القوت يعرض موضوع القصة ويرسم شخصياتها ويكشف عن ابعادها المختلفة، ويجب أن يشتمل الحوار على عنصر الحيوية والمتعة كنفس الأشخاص سواء بسواء، ويجب كذلك ألا يضعف فيصبح نوعاً من الشروح الفلسفية[١٠]، وللحوار دور كبير في كشف جوانب الشخصية، فاغلب صورها مباراة أو منافسة أداتها اللسان، وهي

في كل أحوالها تمثل موقف المحاور ورأيه وحجته، وفوق ذلك فإنها تمثل شخصيته ومقدار عقله وتفكيره[١١]، ويقول بعض الباحثين أنها "نوع ادبي تتجادل فيه الشخصيات في موضوع ما"[١٢].

ذهبت الدراسات السردية والتداولية الى أن كل خطاب مهما كانت نوعيته تتحكم فيه الحوارية، فالموضوع الأساس الذي ينطلق منه النص ينمى بوساطة الحوار والذي بدوره يولد أفعالاً كلامية متضامه، أو متضادة متنافرة ولكنها تؤدي الى الغرض المتوخى بما يحيل النص الى حكاية[١٣]، يراعي وجوب اختلاف العبارات التي تستخدمها كل شخصية عن عبارات غيرها من الشخصيات، بحيث تستخدم الكلمات التي تناسب مستواها التعليمي، وأن يتماثل الحوار مع المهنة الأساسية لهذه الشخصية، فلغة ومفردات الميكانيكي على سبيل المثال وأسلوب حديثه بالطبع تختلف عن الطبيب أو غيره من أصحاب المهن الأخرى، وحتى تشبيهاته تكون نابعة من مهنته، ولا داعي لاستخدام تعبيرات غريبة وتكنيكية في الحوار ويكتفي بواحدة أو اثنتين في بداية الحوار لتوضيح المهنة، أو بشذرات قليلة اثناء الحوار، والحوار يتأثر كذلك بالحالة العاطفية للشخصية فعندما تكون راضية تتكلم بشكل عادي وهادئ، أما في حالة الغضب فيبح الكلام سريعاً والجمل حادة ومتوترة وهكذا، حيث تنعكس شخصية الفرد الداخلية على إيقاع كلامه، فنرى الشخصية الحازمة يكون اسلوبها حازم في الكلام، في حين نجد ان الشخصية الرقيقة يكون كلامها رقيق وشفاف، وفي هذا المضمار يقول السيناريست الفرنسي (جان أورنش) "أظن أنه ليس للحوار ان يستعمل لإصلاح موقف، فعندما نستعمله للتعبير عما لا نستطيع توضيحه من خلال الرؤية، فهذا ضعف كبير، فالحوار يعتبر تعبيراً عن الشخصية على نفس مستوى لون الشعر وطريقة اللبس[١٤].

شغلت قضية الكتابة باللغة الفصحى أم العامية فكر كتاب الحوار والسيناريو في المجال العمل الدرامي فضلاً عن باقي العاملين في هذا المجال، ولعل الواقعية المبتغاة من العمل الدرامي وارتباط اللغة بواقع محدد هو الذي خلق هذا الاشكال لدى الكاتب، ومهد السبيل لتلك الازدواجية القائمة في اللغة بين الفصحى والعامية، وهذه الازدواجية كانت مصدر قلق الكتاب وعانت العروض الدرامية من اختلاف اللهجات ليس بين قطر وقطر بل ضمن البلد الواحد فتفاوت اللهجة يؤدي الى تفاوت استيعاب العمل الفني ومن ثم يفقد العنصر الأهم فيه ألا وهو إيصال الفكرة الى الجمهور والمتلقين

على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية، ولا تعد هذه المشكلة أو الظاهرة بالجديدة على الاعمال الدرامية التلفزيونية وإنما ظهرت مع البدايات الأولى للأعمال التليفزيونية لذلك عمدوا الى استخدام اللغة العامية في تلك الاعمال.

اللهجات لا تتشكل من العدم فهي وليدة لأسباب تاريخية واجتماعية، فلم يعد العالم العربي منحصراً بالجزيرة العربية وصحرائها، بل اتسع ليختلط مع أقوام أخرى مثل البربر والفرس والترك فمن الطبيعي أن تتأثر اللغة بهذه العوامل من جهة وبالمقابل تؤثر هي بهم ايضاً وهذا الأمر لا ينحصر باللغة العربية حصراً وإنما نجده في كافة اللغات في العالم، ولعل اللغة الإنكليزية خير مثال على ذلك فاللغة الإنكليزية المتداولة في المملكة المتحدة نجد فيها اختلاف في طريقة نطق الأصوات وبعض الحروف وبالكتابة مقارنة في استخدام الإنكليزية الأمريكية أو الاسترالية، علماً أن هذه الدول لم تنفصل عن المملكة المتحدة إلا قبل فترة قريبة إذا ما قورنت بالفترات التاريخية الطويلة، في حين أن اللغة العربية شهدت توسعاً في استخدامها في المناطق التي سادت فيها بسبب الفتوحات الإسلامية قبل ما يقارب (١٤٠٠ عام)، فابتعاد اللغة عن مصدرها الرئيس وسيادة العناصر غير الناطقين بها يعتبر عاملاً مهماً في نشوء لهجات مرادفة أو بديلة مثل اللغة العامية التي استقلت كل دولة عربية بها عن باقي الدول، فضلاً عن ذلك فإن الكتابة بالفصحى لا يجب أن يفقد الحوار معناه والمراد منه حيث يعبر عن الشخصية لا عن أفكار الكاتب وذاتيته، وأن يتسم بالموضوعية، ويتفق مع الشخصية الناطقة به، ويجب أن يطابق الحوار الحياة الخاصة، لما في طبيعة الاعمال التلفزيونية من تجسيد كل شيء، ولكن هذه المطابقة لا تعني نقل الواقع بحذافيره ولكن من خلال مرآة الفن[١٥].

يدرك القاص الناجح طبيعة كل شريحة، ويخاطبها بلغتها ومصطلحاتها التي تدركها، وتتمكن من فهمها، "وقد خاض النقاد جدلاً كبيراً حول طبيعة اللغة التي يستخدمها الأديب، فمنهم من يرى ضرورة أن تكون اللغة هي لغة التخاطب، ومنهم من دعا الى أن يكون الأدب القصصي باللغة الفصحى، وقد ذهب الاتجاه الثالث الى تبني لغة وسط بين العامة والفصحى"[١٦].

تحتل اللغة المرتبة الأولى في تشكيل وبنية النص الدرامي، وتجلية غاياته الإنسانية والاجتماعية والجمالية والفكرية، "فالنص الدرامي، وهو يعالج الواقع منتقياً جوانب معينة منه، سواء اعتمد على التاريخ أو الأسطورة أو الفن الشعبي، أو اتصل مباشرة بهذا الواقع إنما يوظف لغة خاصة، نتيجة التفاوض النصي بينه، وبين نصوص أخرى سابقة عليه، أو معاصرة له تشكل السياق العام النصي لهذا الجنس الأدبي"[١٧]، حيث تعتمد اللغة الدرامية على نظام لغوي ملفوظ ويمكن كتابته وتتميز بتحديد رموز لغوية لها دلالة محدد، حيث يوجد معنى لكل رمز مفرد، وبإمكان تعريف رمز برمز آخر، وبيان المعنى يأتي نتيجة لتتابع الرموز معاً في جملة معبرة، كذلك وجود قواعد محددة[١٨]، فاللغة في الدراما أو العمل الفني إما أن تكون منطوقة باستخدام مثير حسي هو الصوت، أو مكتوبة يتم التعبير عنها بواسطة المثير الحسي المرئي، واللغة اللفظية من اهم وسائل التواصل استخداماً وشيوعاً في الحياة اليومية، ويعود ذلك الى سهولة استخدامها وتداولها، وسرعة الاعتياد عليها، وتعلمها منذ مرحلة الطفولة، وعلى ذلك يجب أن تصحح بعض المفاهيم المتعلقة بأنه يجب أن نجاري الجمهور وأن نسير على وفق أهوائه وما يهواه هو بغض النظر عن طبيعته ومدى صوابه، بل يجب أن تنهض الاعمال الدرامية بدور ها في النهوض بالواقع الفكري للجمهور والمتلقي وحتى إعادة تثقيفه الثقافة اللغوية الصحيحة.

تشير اللهجة الى شكل معين من أشكال اللغة يختلف عن التنوع القياسي من حيث النطق والقواعد والمفردات، يتم التحدث بهذا الاختلاف اللغوي غير القياسي من قبل مجموعة محددة من الأفراد المقيمين في منطقة معينة أو ينتمون الى مجتمع كلام معين، بالإضافة الى ذلك يمكن أيضاً استخدام المصطلح لوصف طريقة محددة لاستخدام اللغة التي تميزها عن الأنواع الأخرى المعترف بها لنفس اللغة.

يعمل كاتب السيناريو وفق مبدأ بسيط وهو أن يترك الشخصيات تعبر عن ذاتها بلغتها ولا نجبرها على قول ما نريد لابل ما تريد هي، فنتركها تتصرف وفقاً لطبيعتها هي، وكلامها هي، ولهجتها هي، واسلوبها هي في الأداء، وكاتب السيناريو أو الحوار في الفيلم لا يفكر في بناء الحوار فحسب بل يفكر في ملائمة هذا الحوار للحركة في الفيلم، ومسايرة هذا الحوار لما يتطلبه العمل بالنسبة لعملية البناء

الفني من توازن في شكل القصة ككل والتوقيت نحو إدخال العناصر المختلفة في اللحظات المناسبة، والاقتصاد في تجميع خيوط الاحداث المصورة حتى لا يشرد انتباه المتفرج لحظة واحدة[١٩].

يعتبر استخدام اللهجة من الطرق المهمة، والتي يمكن للكاتب أن يستخدمها لإبراز الشخصية، وذلك لأن لهجة الكلام تعتبر إضافة مهمة بالنسبة لرسم الشخصية، فهي أكثر من مجرد وسيلة لم يكتمل نضجها بالنسبة للكوميديا الساخرة، وقد عُبر عنها بأن هناك رقة وجمال وتعاطف في معاملات الوافدين الجدد ليعبروا عن انفسهم بلغتنا[٢٠]، فلهجة الكلام الاصيلة تلقي بالضوء على البيئة التي نمت فيها الشخصية، وأن الكثير من كتاب السيناريو يتجنبون ذلك لأنها تحتاج الى دراسة وتخصص، وتتطلب كمية كبيرة من العمل والبحث والتصنيف، والحوار يجب أن يتصف بالترابط المتسلسل، والمراد هنا هو الترابط المتسلسل في انتقال الحوار من شخصية الى الشخصية التي تحاورها، وهناك من يحبذ تكرار كلمة أو فقرة معينة، ولكن باستخدام آخر كأن تتكرر للاستيعاب أو السخرية، وهكذا[٢١].

نجد الصراع بين اللغة الفصحى واللهجة العامية في الاعمال الدرامية بين المنتجين والعاملين وحتى الجمهور من جهة وبين القائمين والمسؤولين على اللغة العربية وسلامتها، ولم يحسم هذا الصراع بسبب اختلاف وجهات النظر والدوافع لكلا الطرفين، ومن الحجج التي طرحت بشأن استعمال العامية في لغة الدراما التلفزيونية هو أن الخطاب موجه الى العامة من الناس وليس الى النخبة الاجتماعية التي تتقن اللغة العربية الفصحى، إلا أن المتتبع للتغيرات الاجتماعية اليوم نجد أن حتى النخبة أصبحت لا تجيد استخدام اللغة العربية الفصيحة في اكثر المجتمعات العربية، إذ أن عدم معالجة المسألة وتركها منذ البدايات الأولى أدى الى نشوء جيل بعيد عن اللغة العربية الفصحى، تجدر الإشارة الى أن مسألة استخدام اللهجة العامية في الاعمال الدرامية التلفزيونية بات اليوم يدخل ضمن الاعمال الدرامية المترجمة، بعد أن كانت هذه الاعمال تجري ترجمتها الى اللغة العربية الفصحى، وذلك بغية تحقيق المنافع المادية بحيث تسد أجور المترجمين والمستوردين فضلاً عن أجور القناة العارضة لها عبر استقطاب المشاهدين لها وجذبهم إليها.

المبحث الثالث: استخدام اللهجات في العمل الدرامي

أخذت اللهجات المحلية لكل دولة في الولوج الى عالم الدراما التلفزيونية، وأخذت تسحب البساط من اللهجة المصرية التي ظلت مسيطرة على ساحة الأعمال التلفزيونية الدرامية، طيلة ما يقرب القرن من الزمن، ليشهد بدايات القرن الحالي ولوج اللهجات المحلية الآخر الى ساحة الدراما التلفزيونية.

نجد اللهجات المحلية المستخدمة في العديد من الأعمال الدرامية أخذت بالانتشار في الوطن العربي بعد أن كانت محصورة ضمن نطاق الحدود المحلية لها، وضمن نطاق استخدامها، فنجد على سبيل المثال اللهجة السورية التي أخذت بالانتشار على الساحة الدرامية في الوطن العربي، مستجلبة معها اللهجات المماثلة لها مثل اللهجة اللبنانية لتأخذ مساحة واسعة على الساحة الفنية، في حين نجد أن اللهجة الخليجية والتي ينطق بها سكان الخليج العربي قد اخذت طريقها في الانتشار أيضاً على الساحة الدرامية ضمن الأعمال التلفزيونية التي تقدمها للمشاهد العربي، وكذلك الحال بالنسبة الى اللهجة العراقية التي أخذت طريقها بالانتشار وإن كان طريقها أكثر وعورة من باقي طرق اللهجات الأخرى، لقلة الأعمال الفنية التي تقدمها الدراما العراقية مقارنة بالدراما الخليجية والشامية.

أخذت اللهجات المحلية تسيطر على الأعمال الدرامية، وذلك لأن الدراما والعمل التلفزيوني يجب أن تتواكب مع لغة العصر وواقع الحياة، وهكذا أخذ كتاب الرواية والسيناريو العرب باستخدام هذه اللهجات لعكس الواقع الذي تعيش فيه الشخصية الدرامية، والبيئة المحيطة بها، وما تعكسه على المتلقي من صور مكملة للعمل الدرامي، حيث لم تكن اللهجات المحلية نقطة ضعف في الاعمال الدرامية في حالة ابتعادها عن الإسفاف وبذيء الكلام، بل على العكس من ذلك شكلت اللهجات المتنوعة مصدر قوة للعمل الدرامي، لاسيما وإنه يبعد الممثل عن التكلف ويذهب به الى التلقائية في التمثيل وأداء السيناريو المرسوم له، فضلاً عن كونها تبعده عن الأخطاء النحوية واللغوية في حالة كون العمل الفني باللغة العربية الفصيحة والتي اخذت تقتصر على الاعمال التاريخية دون غيرها من الاعمال الدرامية، على الرغم مما قيل في العامية من أنها لغة بعيدة عن اللغة العربية الفصيحة وهي لا تمثل الفصحى في شيء، وإنها تختلف عن لغة القرآن الكريم والشعر الجاهلي، إلا أن من الانصاف

ان نقول في اللغة العامية أنها لغة أتت نتيجة تلاقح اللغة العربية مع غيرها من اللغات الإقليمية التي اثرت وتأثرت بها، فكما هو الحال عندما اثرت اللغة العربية باللغات الهندو أوروبية والتي لازالت تستخدم الحرف العربي الى يومنا هذا فضلاً عن تأثيرها في اللغة التركية والتي غيرت حرفها العربي في عشرينات القرن الماضي، بعد تولي أتاتورك رئاسة الجمهورية التركية، وكذلك استخدام اللغة الفارسية التي يتم استعمال كلمات كثيرة من اللغة العربية، كذلك تأثير العربية في بعض المصطلحات على اللغة الإنكليزية والذي يظهر جلياً في استعمال كلمتي (سكر، وكحول) نجد أن اللغة العربية أيضا قد تأثرت بهذه اللغات وبحسب القرب والبعد والعوامل السياسية التي طرأت عليها، فلا يمكن جعل هذا التأثر سبة على اللغة وإنما هو من باب التطور اللغوي الدارج والمتعارف عليه، وإن كان القرآن الكريم يمثل ركن الأساس في اللغة والذي لا يمكن الحيد عنه والخروج منه، إلا أنه في حالة الفن التلفزيوني المتمثل بالمسلسلات والدراما التلفزيونية يجب أن يكون الخطاب موجه الى كافة المتلقين، وبكافة طبقاتهم الثقافية والاجتماعية، وأن يتسم بالواقعية بعيداً عن الخيال، لذلك نجد أن تلك الاعمال التي كتبت باللهجات العامية قد حققت نجاحات باهرة مقارنة بالأعمال التي كتبت بالعربية الفصحى.

كذلك شكلت اللهجات في العمل الدرامي عامل جذب للمشاهد العربي، استرضاء لرغبته في ادراك وتعلم لهجات محيطه الإقليمي والعربي المحيط به، فنجد المشاهد اخذ يتقن لهجات الدول العربية الأخرى، وأساليبها اللغوية والدلالية المختلفة، وقد تولى العديد من العديد من كتاب السيناريو تحويل النصوص القصصية والروائية من اللغة العربية الفصحى الى اللغة العامية، لاسيما وأن كبار كتاب الروائية كانوا يكتبون بالعربية الفصحى أمثال نجيب محفوظ واحسان عبد القدوس، اللذين كتبوا باللغة العربية الفصحى، حتى أن نجيب محفوظ عد العامية مرض، حاله حال الفقر والجهل الذي اخذ يستشري في المجتمعات العربية، في حين يصف إحسان عبد القدوس العامية بأنها لغة، وهو وصف غير دقيق لأن العامية لهجة من لهجات الفصحى ومشكلة لغة الكتابة نشأت لديه عندما قرأ قصة عراقية وكانت بالعامية ولم يفهم شيئاً وخيل إليه أن قراء العراق لن يفهموا شيئاً من قصته إذا كتب حوارها بالعامية المصرية واقتنع أخيراً أنه لا بد من كتابة الحوار بالفصحى، فمن الروايات التي أعيد

صياغتها الى اللغة العامية هي ثلاثية نجيب محفوظ بين القصرين والتي كتبت باللغة العربية الفصيحة واعيد صياغتها وفق اللهجة المصرية العامية، وتم تمثيلها على شكل مسلسل تلفزيوني.

يشكل العامل المادي أثراً كبيراً على استخدام اللهجات العامية فالإنتاج هدفه تحقيق الأرباح من خلال تحقيق اعلى نسبة من المشاهدات وطلبات الشراء في على المسلسل، لذلك فإن المنتجين يتجهون الى انتاج المسلسلات الدرامية التي تتخذ من اللهجة العامية أساس للحوار الذي يدور بين شخصياتها، إذ ان المتلقي العربي يعزف عن مشاهدة المسلسلات التي تتحدث باللغة الفصحى، وهذا ليس بسبب كون نقص في قابلية المتلقي ولكن لكون العمل الفني غير مطابق للواقع في لغته المستقبلة، فكما هو الحال لو انك مثلت عمل تاريخي وجعلته باللهجات العامية سواء اكانت عراقية ام شامية ام مصرية فإن الحكم عليه سيكون بالفشل لإدراك المتلقي ان الخطاب السردي للحوار بعيداً عن الواقع الذي يصوره تاريخ ذلك العمل الدرامي، فهنا يجب أن يكون العمل الفني مقترن بالواقع من خلال مطابقته للغة الحوار المستخدمة في ذلك الوقت.

المبحث الرابع: النتائج والتوصيات

١-شاعت اللهجة العامية في الاعمال الدراما العربية بسبب كونها اللهجة المستخدمة في الواقع وحيث ان حوار العمل هو نقل للواقع ومن الواقع لذلك وجب أن يستخدم اللغة المستخدمة في الحدث عينه لتكون اقرب الى المشاهد والى مخيلته.

٢-هناك عوامل مادية وراء استخدام اللهجات العامية في الاعمال التلفزيونية وذلك بغية تحقيق الأرباح منها، من خلال حصولها على اعلى نسبة مشاهدات مما ينعكس على أرباح المنتجين، وهو العامل الرئيس للعمل الفني.

٣-النتيجة الثالثة تتعلق بالمشاهد نفسه، وقلة فهمه وإدراكه بمفردات لغته ولغة دينه مما يدفعه الى اللجوء الى اللهجة العامية التي اعتادها وفهم اساليبها، مما يدفعه ذلك الى الانصراف عن الفصحى.

٤-ضعف كتاب السيناريو والحوار من الناحية اللغوية، وعدم استطاعتهم نقل الاحداث بصورة قريبة الى ذهن المشاهد، وتقريبها اليه بالشكل المناسب لضعف خزينهم اللغوي، نحو تجسيد الاحداث باللغة العربية الفصحى بصورة سليمة.

التوصيات:

١- زيادة الاهتمام باللغة العربية في المناهج الدراسية وعدم اعتبارها مادة غير أساسية لاسيما في الدراسات العلمية التي باتت تهمل اللغة العربية على اعتبارها درساً ثانوياً فاللغة هي وعاء العلم، فإن فسد هذا الوعاء فسدت العلوم ولم نستطع ايصالها الى المتلقي.

٢- تبسيط المناهج التي تدرس وتتناول اللغة العربية بحيث تكون لغة التخاطب والتواصل بين الطالب والكتاب سهلة ومفهومة ومفهرسة بصورة صحيحة ومبسطة، بحيث تصل الى الدارس بصورة سلسلة بعيداً عن التعقيد والمبالغة في الصنعة التي اتصفت بها أمهات الكتب المختصة بعلوم اللغة.

٣- وضع أسس وقواعد لغوية للإعلاميين ومن يتصدر الظهور على شاشات التلفاز لغرض التحدث بلغة عربية سليمة بعيدة عن الأخطاء النحوية والتعبيرية.

المقترحات:

يجب قبل البدء بعمليات تغيير الحوار والتوجه الى العمل الدرامي باعتباره ظاهرة، أن تتوجه الأجهزة المعنية والجهات المسؤولة عن سلامة اللغة الى المتلقي، لاسيما وإن البلاد العربية على اختلاف أنظمتها تعاني من التخلف والأمية حتى بات المواطن العربي مواطناً بالجنسية فقط لا يعرف لغته ولغة أجداده لا بل حتى لا يعرف لغة القران التي تمثل دينه الذي يتعبد به ويتقرب به لله جل وعلا، وعليه يجب مكافحة هذه الآفة المتمثلة بالأمية والجهل للنهوض بواقع اللغة العربية أولاً، وهذه مسؤوليات الحكومات وليست مسؤوليات فردية.

تسهيل المناهج الدراسية مع الحفاظ على دسامة المادة، والمراد هنا ان تنتهج المناهج الدراسية التي تتناول مواضيع اللغة العربية، لغة عصرية سهلة من دون الإخلال بجوهر المادة وسلامتها العلمية،

فلا يعقل أن تدرس مواد لطلبة في القرن الحادي والعشرين وتخاطبهم بلغة تسبقهم بألف عام مما يجعل المواد صعبة الفهم ومملة مما يسبب عزوف الطلبة عن دراسة لغتهم أو تخريجهم من الجامعات بمستويات يرثى لها.

بما أن العمل الدرامي من الأعمال الربحية من الناحية الاقتصادية، والاتجاه الأول والأساس للعاملين به هو تحقيق المنفعة المالية، فمن الأولى للحكومات ان تتولى عملية إنتاج اعمال درامية تكون على درجة عالية من الدقة والتنظيم وتضم بين كوادرها أسماء لامعة ونجوم معروفة لجذب المشاهد إليها، وبالتالي يترك الأعمال الدرامية التي تنتهج لغة الحوار العامي مما يدفع الجمهور الى هجر هذه الأعمال شيئاً فشيئاً فضلاً من أنه في حالة تحقيق النجاح المأمول منها سوف تتجه الأعمال الدرامية الممولة من القطاع الخاص الى هذه الأعمال بغية تحقيق المكاسب أيضاً.

دعم كتاب الحوار والسيناريو الذين يقومون بكتابة الأعمال الدرامية بلغة عربية فصحى مقارنة بمن يقوم بكتابتها باللغة الدارجة. مما يشكل عامل ودافع قوي للكتابة بلغة القران والتجرد عن اللهجات البديلة.

وأخيراً، فإن جل المسؤوليات التي تتعلق بسلامة اللغة والحفاظ عليها والتي من ضمنها مسألة الأعمال الدرامية التلفزيونية يكون عاتقها على الحكومات أولا ومن ثم على المنتجين.

الخاتمة:

استخدمت اللهجات العامية في حوار المسلسلات الدرامية التلفزيونية بغية تحقيق النجاح والانتشار الذي يتطلبه العمل الفني، حتى أن الاعمال الأدبية التي كتبت بالعربية الفصحى عند تصويرها في الدراما التلفزيونية اعيدت صياغتها مرة أخرى ليكون حوارها باللهجة المحلية أو العامية تبعاً للقطر الذي تولى انتاج هذا العمل أو تبعاً للكادر التمثيلي الذي قام بعملية تمثيل المسلسل الدرامي.

وذهب بعض النقاد الى ان هذه المسألة هي إبعاد للمواطن العربي عن ماضيه، ولغته المشتركة الموحدة، إلا أنه من الانصاف أن نعد ذلك من باب التطور اللغوي الذي تشهده اللغات قاطبة وليس العربية فقط.

المصادر:

١ - الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري)، **كتاب العين**، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص.٣٩١.

٢ - الطالقاني (إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم)، **المحيط في اللغة**، المحقق: محمد آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ص.٢٨٤.

٣ - البركتي (محمد عميم الإحسان المجددي)، **التعريفات الفقهية**، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، بيروت، ٢٠٠٣، ص. ١٨٩.

٤ - المالح (ياسر) ، **الفصحى والعامية في الإذاعة والتلفزيون بالوطن العربي**، منشورات اتحاد الدول العربية، تونس، ص.١٢.

٥ - مندوب (مظفر)، **التلفزيون ودوره التربوي في حياة الطفل العراقي**، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٤، ص.٨٩.

٦ - مرتاض (عبد الملك)، **في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد**، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٩٨، ص.٩٣.

٧ - غديري (كريمة)، **هيمنة العامية على وسائل الإعلامية وانعكاساتها على اللغة العربية**، مجلة اللغة العربية، المجلد ٢١، العدد ٤٥،الجزائر، ٢٠١٩، ص.٣٢٧.

٨ - حمود (طارق علي)، **التلفزيون التفاعلي الرقمي والتلفزيون المحمول**، التقنية المضمون، الجمهور، دراسة مقارنة، ، مجلة الباحث الإعلامي، كلية الإعلام، جامعة بغداد، العدد ١٩، بغداد، ٢٠١٣، ص.١١٠.

٩ - هيرمان (لويس)، **الأسس العلمية لكتابة السيناريو للسينما والتلفزيون**، ترجمة: مصطفى محرم، دار رؤية للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠١٥، ص.٢٩٨.

١٠ - فنسنت (لابيه سي)، **نظرية الأنواع الادبية**، ترجمة: حسن عون، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٨، ص.٢١٥.

١١ - حنفي (عبد الحليم)، **أسلوب المحاورة في القران الكريم**، مطابع الهيئة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥، ص.١٦.

١٢ - وهبة (مجدي)، المهندس (كامل)، **معجم مصطلحات الادب**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩، ص.١١٠.

١٣ - مفتاح (محمد)، **دينامية النص**، المركز الثقافي العربي، بيروت،١٩٨٧، ص.٩٦.

١٤- ساليه (كريستيان)، **السيناريو في السينما الفرنسية**، ترجمة: دليلة سي العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥، ص.٢٢.

١٥ - محرم (مصطفى)، **السيناريو والحوار في السينما المصرية**، القاهرة، ٢٠٠٢، ص.٦١.

١٦ - أيوب (محمد)، **الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة**، دار سندباد للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩، ص.٤٧.

١٧ - أبو الرضا (سعد)، **في الدراما اللغة والوظيفة- نصوص وقضايا**، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٩، ص.١٦٣.

١٨ - فتح الباب (إبراهيم ميخائيل)، **وسائل التعليم والإعلام**، عالم الكتب، القاهرة، ، ص.٢٩.

١٩ - بليكستون (أوزويل)، **كيف تكتب السيناريو**، ترجمة: أحمد مختار الجمال، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٦١، ص.٨.

٢٠ - هيرمان (لويس)، **الأسس العلمية لكتابة السيناريو**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣، ص.٣٠٣.

٢١ - المهندس (حسين حلمي)، **دراما الشاشة بين النظرية والتطبيق للسينما والتلفزيون**، الهيئة المصرية العام للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩، ص.٢١٢.